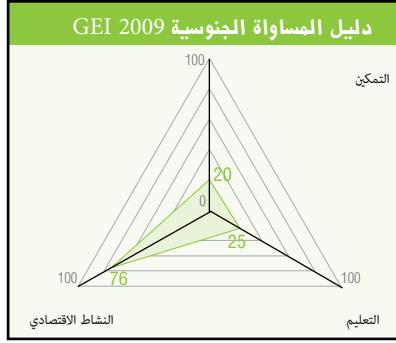
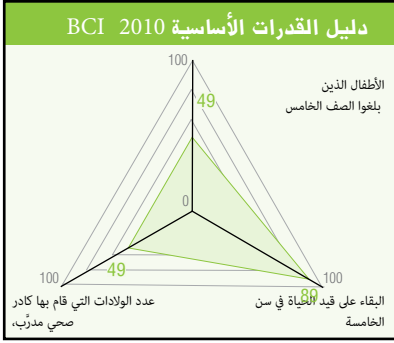


بلدان ومزید من التحديات

سيكون لانفصال جنوب السودان آثار حادة على كلتا دولتي الشمال والجنوب. وستهدد المخاطر الجديدة خطط التنمية في السودان الشمالي، نظراً لاعتمادها على عائدات النفط، فيما سيواجه السودان الجنوبي محناً وصعوبات اقتصادية واجتماعية يمكن أن تحول البلد الجديد دولةً فاشلة. ومع أن بعض المؤشرات الجنوسية تحسنت، إلا أنه ما يزال أمامها طريق طويل قبل أن تُجسّر الهوة بين النساء والرجال، وخصوصاً أن الانحياز ضد المرأة يضر جذوره عميقاً في المجتمع. وقد شقّ التوقيع على اتفاقية السلام الشامل في عام 2005 الطريق أمام منظمات المجتمع المدني لتضلع بدورٍ فعّالٍ في مراقبة الانتخابات والاستفتاءات وفي إنشاء مجموعات رصد برلماني.



المنتدى المدني الوطني مداني عباس مداني، عفاف عوض

كان عام 2010 نقطة تحوّل في تاريخ السودان السياسي. ففيه جرت الانتخابات الرئاسية والبرلمانية، وأتمت التحضيرات لاستفتاء استقلال جنوب السودان، الذي شمل تعداداً سكانياً بُغية تحديد طبيعة الهيئة الناحية وعددها. وقد أُجري الاستفتاء بين 9 و15 كانون الثاني (يناير) 2011، ونُشرت نتائجه في 7 شباط (فبراير)؛ فتيّب أن 98% من المقترعين يؤيدون الاستقلال. ونتيجة لذلك، فقد اتفق على إعلان جمهورية جنوب السودان رسمياً دولةً سيده في تموز (يوليو) من السنة نفسها.

وبحسب مسح للفقر أُجري في عام 2009، تبيّن أن 46,5% من الشعب السوداني يعيشون رهنًا تحت خط الفقر. وتشمل المسائل الحرجة الحاسمة النزاع والنزوح (التهجير) وعدم الأمن الغذائي الذي تتسم عوامله الرئيسية بكونها طبيعية وهي ناجمة جزئياً عن كوارث من صنع البشر، ومنها الجفاف والتصحر والفيضانات.²

التحديات البيئية

تواجه الأراضي السودانية بعض التحديات البيئية المهمة، بما فيها انجراف التربة وتدهور الأراضي والتصحر وزوال الغابات، التي تُهدّد أفق السلام ومداه وكذلك التنمية المستدامة. فتوسّع المستوطنات، على سبيل المثال، زحف على غابات البلاد. ونحو 75% من مخزون الطاقة يعتمد على أنواع الوقود التقليدي، كالخشب (فضلاً عن طلبه للحصول على الفحم)، ممّا أدّى إلى زوال العديد من الغابات. ومن الطبيعي أن يسرّع ذلك عملية التصحر جرّاء تمدّد الصحراء وبلوغها أراضي كانت في السابق مروية ومشغولة بالغابات.³ كما حدّد "برنامج الأمم المتحدة الإنمائي" سببين آخرين رئيسيين للتصحر هما: التغيّر المناخي شبه الصحراوي إلى صحراوي؛ وتدهور البيئات الصحراوية الموجودة. هما في ذلك الوادي والواحات، بسبب الأنشطة البشرية.⁴

موجز تاريخ النزاعات الأهلية

واجه السودان حربين أهليتين كبيرتين منذ استقلاله، وقعت الأولى بين عامي 1955 و1972، فيما اندلعت الثانية بين عامي 1983 و2003 واعتُبرت امتداداً للحرب الأولى. ويمكن تحريّ جذور النزاعين بالعودة إلى عهود الاستعمار، حين أنشأ البريطانيون إدارات مستقلة في الجزء الشمالي من البلاد، الذي كان مُجانساً لمصر الإسلامية، وفي الجزء الجنوبي الذي كان يماثل كينيا وتنجانيقا (المعروفة حالياً بتنزانيا). وقد جرت عملية الاستقلال من دون مشاركة مبعوثين من الجنوب، بحيث لم يؤخذ بمطالبهم وحاجاتهم. وقد أدّت الحرب الأهلية السودانية الأولى -التي بدأت بعد هجوم الحكومة على المحتجين الجنوبيين والمنشقين السياسيين- إلى مزيد من العنف والتمرد، وما لبث أن تحول الأمر إلى حرب كاملة. وقد انتهت مرحلة النزاع هذه مع "اتفاق أديس أبابا" الذي قضى بمنح الجنوب استقلالاً ذاتياً.

بيد أن شروط الاتفاق لم تُنفذ بالكامل، إذ اندلعت الحرب الأهلية الثانية؛ التي انتهت مع توقيع اتفاقية السلام الشامل في عام 2005 بين حزب المؤتمر الوطني الحاكم وبين حركة تحرير الشعب السوداني. فيما بعد، اقترح إجراء استفتاء على استقلال جنوب السودان.

Countries Quest, Sudan, 3
Land and Resources, Environmental
Issues,
<www.countriesquest.com/
africa/sudan/land_and_resources/
environmental_issues.htm>.

UNEP, op. cit. 4

Ministry of Welfare 1
and Social Security and National
Population Council, Sudan
Millennium Development Goals
Progress Report 2010, <www.
sd.undp.org/doc/Sudan%20
MDGs%20Report%202010.pdf>.

United Nations 2
Environment Programme (UNEP),
Sudan: Post-Conflict Environmental
Assessment, (Nairobi: 2007),
<postconflict.unep.ch/publications/
UNEP_Sudan.pdf>.

TABLE 1					
Summary of general education in Sudan					
Level	Institutions	Pupils			Teachers
		Males	Females	Total	
كل السودان	3,4301	3,174,809	2,641,668	5,816,477	194,800
التعليم ما قبل الأساسي	8,648	228,944	221,188	450,132	14,964
التعليم الأساسي	14,071	2,332,612	1,967,125	4,299,737	141,315
التعليم الثانوي الأكاديمي	2,268	306,184	305,395	611,579	32,917
التعليم الثانوي المهني	114	18,230	8,003	26,233	1,143
التعليم الخاص	48			6,821	184
تعليم المراهقين	570	10,111	9,330	19,441	159
تعليم الكبار	8,582	49,784	130,627	180,411	4,118

Source: Sudanese Studies Center, *Strategic Report on the Sudan, 2007-2008* (Jartum).

ومعدل وفيات الأمهات والأطفال المفرط⁹.

اللامساواة الجنوسية

ازداد التحاق الإناث بالتعليم الأساسي من 64,4% خلال 2006-2007 إلى 69,9% في عام 2009، فيما ازداد أيضاً التحاقهن بالتعليم الثانوي من 30% في عام 2005 إلى 35,5% في عام 2009. بالإضافة إلى ذلك، حققت المرأة السودانية بعض التقدم من حيث التمثيل والمشاركة السياسيين: ففي انتخابات عام 2010 فازت النساء بـ 28% من المقاعد البرلمانية.

وبالرغم من البيانات المشجعة، ما يزال هناك، مع ذلك، لامساواة كبيرة في ما يتعلق بفرص النساء لتسُم مناصب عليا، وفي الحصول أيضاً على فرص تدريبية، علماً أن معظم الأنشطة التي تمارسها النساء السودانيات تتركز في الزراعة وفي القطاع غير الرسمي. ونظراً، أيضاً، للنزاعات المسلحة والحربين الأهليتين، فقد عانين من غياب الخدمات الأساسية، وخصوصاً الرعاية الصحية. فوفيات الأمهات، مثلاً، تبلغ

المنطقة تُستنزف وتقترب من النفاذ⁸. وقد حُطت لإجراء استفتاء تقرير ما إذا كانت أبييه ستشكل جزءاً من منطقة بحر الغزال في السودان الجنوبي أو من منطقة كردفان الجنوبية في السودان الشمالي. وقد انتوّي في الأصل إجراء هذا الاستفتاء في آن مع استفتاء الاستقلال، ولكن الأمر أُجّل بسبب الخلافات الحادة في هذه المسألة، وكذلك بسبب العنف الذي تصاعدت وتائرته مُذاك.

هذا، وسيتأثر اقتصاد السودان الشمالي، المعتمد على عائدات النفط إلى حد بعيد، على نحو سلبي جرّاء الانفصال، فيما سيواجه الجنوب عدة عقبات في مساره نحو تأسيس نفسه دولة قابلة للحياة. على سبيل المثال، بالرغم من حقيقة أن الأراضي الجنوبية تحتوي ثلاثة أرباع مواقع إنتاج النفط، إلا أن كل المصافي والأنابيب تقريباً تقع في الشمال. أضف إلى ذلك، تبقى مسألة الجنسية (المواطنة) والدمج مسألة مفتوحة. هل ستكون حكومة السودان الجنوبي قادرة على صوغ هوية وطنية توحد السكان الذين يعيشون على أرضه، وهم الأكثر اختلافاً في العالم من حيث اللغة والثقافة؟ وثمة تحديات أكبر بالنسبة إلى السودان الجنوبي، كالفقر وانعدام الوصول إلى الرعاية الصحية

وبالرغم من أن الحكومة حُصت قرابة 4% من الأراضي معتبرة إياها أراضي محمية، إلا أنه ما يزال هناك انتهاك حاد يهدد الأنواع الحيوانية عبر البلاد. فالعديد من جهود الحماية كانت تقع تحت مخاطر تجرّها النزاعات الأهلية، ولاسيما مع سيطرة القوى العسكرية على مناطق الغابات الغنية من الناحية الإيكولوجية في جنوب السودان⁵. وبحسب "برنامج الأمم المتحدة الإنمائي" فإنّ ثمة روابط واضحة بين المشكلات البيئية وبين الحروب التي اندلعت في البلاد: "إنّ التنافس على احتياطات النفط والغاز ومياه النيل والأخشاب، فضلاً عن مسائل استخدامات الأراضي المرتبطة بالزراعة، يشكلّ عاملاً وجيهاً مهماً في التحريض على استمرار النزاع في السودان وتأييده. وتشكّل المجابهاة في ما يتعلق بالأراضي المستخدمة في الزراعة البعلية (التي تُروى بمياه الأمطار)، في الأجزاء الأكثر جفافاً من البلاد، مظاهر صارخة للصلة بين ندرة الموارد الطبيعية وبين النزاع العنيف⁶. وبالرغم من نقص المياه الخطير، تمثّل الفيضانات ظاهرة عامة غالبية الحدوث؛ إذ تحصل فيضانات فجائية تسببها الأمطار الغزيرة، كما تقع فيضانات نتيجة فيضان النيل وروافده، وفي كلتا الحالتين فهما يتسببان بدمار واسع، بما في ذلك تجرّف حوض النهر وخسارة مقابلة تلحق بالمحاصيل⁷.

تحديات حديثة أمام السودانين

يناقش السودانان الشمالي والجنوبي المسائل المتعلقة، كترسيم الحدود، ولاسيما في ما يعني منطقة أبييه الغنية بالنفط، التي ساهمت حتى عام 2003 بأكثر من ثلاثة أرباع إجمالي نفط البلاد الخام، مع أن أحجام الإنتاج هبطت مُذاك، فيما يفيد بعض التقارير أن احتياطات

9 Thurston, "Five A.

Challenges South Sudan Will Face After Referendum," Christian Science Monitor, (27 January 2011), <www.csmonitor.com/World/Africa/Africa-Monitor/2011/0127/Five-challenges-South-Sudan-willface-after-referendum/(page)/3>.

Trading Economics, Sudan World Bank Data, (2010), <www.tradingeconomics.com/sudan/indicators>.

8 R. Hamilton, "Oil-rich Abyei: Time to Update the Shorthand for Sudan's Flashpoint Border Town?," Christian Science Monitor, (3 November 2010), <pulitzercenter.org/articles/oil-rich-abyei-sudan-accuracy-label>.

5 Countries Quest, op. cit.

6 UNDP Sudan, Environment and Energy for Sustainable Development, (2011), <www.sd.undp.org/focus_environment.htm>.

7 UNEP, op. cit.

509 حالة على كل 100,000 ولادة حية¹¹. بالإضافة إلى ذلك، تواصل المعايير الاجتماعية والثقافية وكذلك المعتقدات والممارسات التقليدية السائدة في المجتمع عرقلتها مطامح النساء في الانخراط بنشاط في كل مسارات الحياة.

دور المجتمع المدني

شُقَّ توقيع حزب المؤتمر الوطني في عام 2005 الطريق أمام منظمات المجتمع المدني للانخراط بنشاط في التصديّ للمساءلة الرئيسية، حيث شارك العديد منها في مراقبة الانتخابات السودانية واستفتاءي السودان الجنوبي، ومراقبة كل العملية الانتخابية من حيث

يواجه كل من السودانين الشمالي والجنوبي تحديات تنموية وبيئية خطيرة يمكنها أن تتفاقم مع استمرار النزاع، فيما ما يزال الاتفاق يستدعي التوصل إلى مسائل رئيسية كالحقوق في النفط والمياه والمواطنة. وقد حثت البلدان المانحة كإلا البلدين على خفض اعتمادهما على النفط وزيادة أمنهما الغذائي من خلال التنمية الزراعية وتوسيع نطاق خدمات التعليم والصحة والمياه والنظافة العامة¹². ويمكن أن يوفر الاستقرار وتعظيم التجارة بين الشمال والجنوب، ومع الجيران، فرصاً اقتصادية للشباب الذين يشكّلون أكثر من نصف السكان وللنساء والبنات اللاتي تُعتبر فرصهنّ التعليمية والوظيفية محدودة حتى تاريخه¹³.

تثقيف الناخبين وتسجيلهم وتنظيم الحملات الانتخابية وتوفير المساعدة التقنية لتدريب المراقبين المحليين. كما بدأ بعض منظمات المجتمع المدني إنشاء مجموعات رصد برلماني تكمن مهامها في مراقبة أداء البرلمان على مستوى الدولة وعلى المستوى الفيدرالي. بيد أن منظمات المجتمع المدني لم تنخرط بنشاط في صنع القرار ومسائل السياسة الرئيسية. ويُعزى هذا إلى العلاقة المتوترة مع الحكومة، ولاسيما في ما يتعلق بالقيود التي فُرضت على أنشطتها.

استنتاجات ختامية

E. Solheim, A. Mitchell and R. Shah, "Sudan at a Crossroads," *The Guardian*, (7 May 2011), <www.guardian.co.uk/global-development/poverty-matters/2011/may/07/sudan-at-crossroads-south-unresolved>.

Ibid. ١٣

UNICEF, Sudan Statistics, 11 <www.unicef.org/infobycountry/sudan_statistics.html>